يتخذونك الا موضع هزوا او مهزوا به. اهذا الذي بعث الله رسولا. محكي بعد قول
مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله
صلة وهم في غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي زعم انه
بعث الله رسولا. ان كاد. انه كاد. ليضلنا عن آلهتنا. ليصرفنا عن عبادتها بفرط
اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات
لولا ان صبرنا عليها. ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله يقيد الحكم
المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل
سبيلا. كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب
له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم. ارأيت من اتخذ الهه
هواه. بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول
الثاني للعناية به. افانت تكون عليه وكيلا. حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي
وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار. ام تحسب. بل
احسب. ان اكثرهم يسمعون او يعقلون. فتجدي لهم الايات والحجج فتهتم بشأنهم
وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه
وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا
على الرياسة. ان هم الا كالانعام. في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم
تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات. بل هم اضل سبيلا. من الانعام لانها
تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها و
تتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان

ولا يطلبون

ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار
ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا
بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى تهييج الفتن وصد
الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون
مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم. الم تر الى ربك. الم تنظر الى صنعه. كيف
مد الظل. كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا
بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه
النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس
منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو
اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو
ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود. ولو شاء لجعله ساكنا.
ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا. فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها
على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بحركتها بحسب حركتها. ثم قبضناه الينا.
اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن
ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو بمعنى الكف. قبضا يسيرا. قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس
لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين
لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا
نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق

King Saud University
Copyright © King Saud University
Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)